جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه/ لغة

معاني الأبنية

المناسبة بين الأبنية المتماثلة في القرآن الكريم

أ.د. خولة محمود فيصل

إنَّ الأبنيـة المتماثلـة بـين الفـاظ القـران الكـريم مـع التنـوع فـي التعريـف والتنكيـر والتـذكير والتأنيـث والاسـمية والفعليـة ومـا ينطـوي تحتهـا مـن جزيئـات تُعـد وجهـا مـن وجـوه إعجـاز هـذا الكتاب المبارك ولونا من الوان بلاغته وفصاحته.

وليس مجيء تلك الابنية تكراراً ولغواً ؛ لأنه يستحيل عليه الاختلاف والحشو واللَّغو

قـال تعـالى:((لا يأتيـه الباطـل مـن بـين يديـه ولا مـن خلفـه تنزيـل مـن حكـيم حميـد)) (فصـلت: 42) فالأبنيـة المتماثلـة وجـه مـن وجـوه إعجـازه البيـاني فمـا ورد معرفـاً فـي مـوطن ومنكـراً فـي مـوطن اخـر أو مـذكراً هنـا ومؤنثـا هنـاك ...الـخ إنمـا هـو لحكمـه تُطلـب وفائـدة تـرام ، وليسـت تكراراً بلا فائدة

يقـول الخطيـب الاسـكافي: (إذا أورد الحكـيم تقدسـت اسـماؤه آيـة علـى لفظـة مخصوصـه ،ثـم أعادهـا فـي موضـع آخـر مـن القـران وقـد غيـر لفظـة عمـا كـان عليـه فـي الاولـى فلابـد مـن حكمـة تُطلب وإن ادركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمتة هناك بل جهلتم)

والبحـث فـي دلالـة الابنيـة المتماثلـة، بحـث فـي التنـوع الاسـلوبي ؛لأنـه مـرتبط بالتحليـل اللغـوي ،فالمغـايرة بـين الالفـاظ ظـاهرة اسـلوبية خاضـعة للسـياق، فمتـى كـان المقـام مقتضـياً للمغـايرة ومراوحـة الاسـلوب بـين فـنٍ وفـنٍ وجـدنا الـنظم القـران منسـجما مـع هـذا التغـاير بـأبلغ سـبيل ،ومتـى كـان المقـام مقتضـيا لاسـتمرار الاسـلوب علـى طريقـة، أو فـنّ واحـد وجـدت البلاغـة متحققة في النظم .

ومن السمات اللغوية التي يستعملها الخطاب القرآني في ظاهرة الابنية المتماثلة

اختلاف أبنية الالفاظ

أولاً- أبنية الأسماء بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة

تغـايرت الصِّـيغتان (سـاحر وسـحَّار) فـي سـياقين ، الاولـى فـي سـياق قولـه تعـالى:((يـأتوك بكـلِ سـاحرٍ علـيمٍ)) (الأعـراف: 112) والثانيـة فـي قولـه عـز وجـل:((يـأتوك بكـلٍ سـحَّار علـيم)) (الشـعراء :37) **ذكـر الزمخشـري** سـبب تخصـيص كـل صـيغة فـي تركيبهـا بـأنَّ قـوم فرعـون عارضـوا قولـه تعـالى:((إنَّ هـذا لسـاحرٌ علـيمٌ)) (الشـعراء :109) بقـولهم:((يـأتوك بكل سحَّار عليم)) فجاءوا بصيغة المبالغة (سحَّار) ليطمئنوا نفسه، ويسكِنوا بعض قلقه.

وعلـل ابـن جماعـة مجـيء صـيغة المبالغـة (سـحَّار) فـي آيـة الشـعراء ؛ بتقدُّم (بسـحرهِ) فـي قولـه تعالى:((يريـد أن يخـرجكم مـن أرضـكم بسـحره فمـاذا تـأمرون)) (الشـعراء:35) وأمـا فـي الأعـراف فلـم يـأت لفـظ (بسـحره) فـي قولـه تعالى:((يريـد أن يخـرجكم مـن ارضـكم فمـاذا تامرون)) (الأعراف:110) فناسب مجيء ساحر

أمـا الألوسـي فقـد ذكـر الفـرق بـين (سـحَّار) و(سـاحر) فسـحَّار بصـيغة المبالغـة يكـون لمـن يريـد (السِـحر)، و(السـاحر) بصـيغة اسـم الفاعـل يكـون لمـن سـحر فـي وقـت دون وقـت ، وقيـل إنَّ

الساحر للمبتدئ في صناعة السِحر والسحَّار هو: المتمرس في السحر والمنتهى الذي يتعلم منه ذلك

وهذا التفريق الذي ذكره الألوسي هو تفريق في العموم بين الساحر والسحَّار وليس مختصا في سياق آيتي الأعراف والشعراء .

وجعل ابن عاشور (السَحَّار) مرادفا (للساحر) في الاستعمال اللغوي، وأنَّ صيغة فعَّال في قوله : سحَّار جاءت هنا للنسب دلالة على الصناعة وذلك مثل: النَّجَّار والقصَّار، ومما يدل على ذلك مجيء (عليم) بالسحر الفائق في عمله

وحاصل دلالة التغاير بين الصيغتين في كُلِّ: أنَّ اسم الفاعل من السَحر: ساحر لسياق قوله تعالى:((وألقي السحرة ساجدين)) (الأعراف:120) و((لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين)) (الشعراء:40) كما أن السحرة جمع ساحر ككتبة وكاتب ، وفجرة وفاجر ، أما سحَّار فقد وصف بلفظ: عليم ووصفه يدل على تناهيه فيه ، وحذقه به ؛ فناسب لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر.

ثانيا: أبنية الأفعال بين التجرد والزيادة

تختلف صيغة الفعلين (اسطاع) و(استطع) بوحدة صرفيّة لها أثرفاعل في القيمة الدَّلالية لسياق قول الله عزَّ وجلَّ:((فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا)) (الكهف:97) يشير بعض المفسرين واللغويين إلى أن الفعل (اسطاع) أصله: استطاع وحذفت منه التاء؛ تخفيفا وهي علة يشيع دورانها في مثل هذا للون من الحذف

ونرى اخرون منهم يستغلون هذا اللون وتلك العلة في الكشف عن سر المغايرة في مبنى الفعلين في سياق واحد

فهذا ابن الزبير الغرناطي : يعتمد على هذه العلة فيربط بينها وبين غرض الآية الذي يصور علوَّ السدِّ و وملاسته وصلابته وموقف يأجوج ومأجوج منه فجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظُّهور على السَّد والصُّعود فوقه ،ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه ولا شكَّ أنَّ الظهور أيسر من النَّقب والنَّقب أشد عليهم وأثقل فجيء بالفعل مخففا مع الاخف وجيء به تاما مستوفيا مع الاثقل فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب . كذلك تشير صيغتا الفعلين (تَبِع واتَّبع) الى قيمة تعبيرية يشير إليها ، الملحظُ الدَّلاليُّ المستفاد من اختلاف الوحدة الصَّرفيَّة في الفعلين تبعاً لسياقهما حيث وردت الصيغتان في سياق (اية سورة البقرة: 38) ((فمن تَبِع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون))، وفي سياق (اية سورة طه: 123) ((فمن اتَّبع هُداي فلا يضلُ ولا يشقى)) .

جاءت آية سورة البقرة بلفظ (تَبِع) على وزن (فَعِل) وجاءت آية سورة طه بلفظ (اتَّبع) على وزن (افتعل) وقد يكونان بمعنى واحد .

وهو ما تردد في قول سيبويه: وقالوا: قرأت واقترأت يريدون شيئا واحدا

وكذلك (قلع واقتلع) و(جذب واجتذب) بمعنى واحد

وكان هذا التعليل اللغوي خليقا بأن يجد لنفسه أثرًا في توجيه هاتين الصيغتين في سياقهما .

ذكر الزبير الغرناطي أن لكل واحد من الصيغتين تمايزا عن الاخر لان صيغة (تَبِع) ثلاثي وهو الاصل ، وصيغة (اتَّبع) مزيد ،وهو الفرع وما فيه من زياده في المبنى يستلزم زياده في المعنى فاذا اشتركت الصيغتان في دلالتهما على الاتباع فان (تَبِع) تدل على الاتباع الذي لا تكلُّف فيه ولا مشقة وأمَّا (اتَّبع) فان هذه البنية(افتعل) تُنبئ عن تكلُّف ومشقة وتحميل للنفس طاقة أخرى

وذكر البقاعي الفرق بين الصيغتين وسر تغاير الاستعمال القرآني فيكون الاختلاف في عرض القصة هو السبب في المغايرة بين الصيغتين فلما عُرضتْ القصَّة في سورة البقرة لم يرد فيها حكاية إغواء الشَّيطان لآدم وزوجه إلاَّ بصيغة مجمله فجاء بالفعل (تَبِع)

وأمّا في سورة طه فقد ورد في القصَّة كيفية الإغواء ، فلما زاد ذلك قابله زيادة في صيغة الفعل.

وذكر الدكتور فاضل السامرائي بسياق الحال لإظهار الفرق بين صيغتي الفعل كلتيهما في مقاميهما فقصة آدم -عليه السلام - في سورة البقرة مبنية على تكريمه وتشريفه حيث ذكر فيها استخلاف آدم -عليه السلام- في الأرض، وتفضيله على الملائكة بتعليمه الاسماء كُلها ، وجهل الملائكة بها ، وكذلك تكريمه بإسجاد الملائكة له فاكتفى في البقرة بالصيغة الاخف مبنى (تَبع) ولم يشدد على بني آدم تخفيفا عليهم مراعاة لمقام التكريم والتشريف وأمّا في سياق آية سورة طه جاء (اتَّبع) بالتشديد لإفادة المبالغة (كسب) و(اكتسب) ، تغايرت صيغتا (كسب) و(اكتسب) في سياقهما للدلالة على التنوع الاسلوبي فوقف اللغويون، والمفسرون فرقا في تعليل ذلك التنوع وتلك المغايرة في مبنى الفعلين.

ذهب ابن الجوزي وأبو حيان وابن عاشور إلى أن (كسب) و(اكتسب) بمعنى واحد ، فهما لغتان ومعناهما واحد في كلام العرب ، وإنما صار هذا التنوع في الاستعمال ؛ تفنُّناً وتحسيناً للكلام ، وكراهية لإعادة الكلمة بعينها

واستدلوا بسياق قوله تعالى:((فمهِّل الكافرين أمهلهم رويدا)) (الطارق:17) حيث إفادة الكرماني أنَّه عدل في الصيغة إلى أمهل ؛ لأنَّه من أصل مهَّل وبمعناه ؛ كراهة التكرار.

ويقول أبو حيان: وقد جاء في القرآن الكسب والاكتساب في مورد واحد . قال تعالى:((وكل نفس بما كسبت رهينة)) (المدثر:38) ، وقال تعالى:((بغير ما اكتسبوا)) (الأحزاب:58) فقد استعمل الكسب والاكتساب في الشر.

ويلحظ آخرون أنَ هناك تمايز بين (الكسب) و(الاكتساب)

ذكـر الزمخشـري أن الاكتسـاب: اعتمـال ، فلمـا كانـت السـيئات ممـا تشـتهيه الـنفس وتنجـذب إليـه وتـأمر بـه كانـت فـي تحصـيله أجـدّ ، لـذلك جعلـت مكتسـبة لـه ، ولمـا لـم تكـن الـنفس كـذلك فـي الخير والحسنات وصفت بما لا دلالة فيه على المشقة والتعب (بالكسب)

أمـا سـيبويه يقـول: وأمـا (كسـب) فإنـه يقـول: أصـاب ، وأمـا (اكتسـب) فهـو التَّصُّـرف والطلـب ، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب.

وابن جني يقول: معنى (كسب) دون معنى(اكتسب) لما فيه من الزيادة .